Al Jinan الجنان

Volume 13 Article 10

2020

Self- purification according to Sheikh Amer Al-shammakhi Through his book clarification

Aisha Alqanoubiya
كلية العلوم الشرعية ، سلطنة عمان, aalqanobi@css.edu.om

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Alqanoubiya, Aisha (2020) "Self- purification according to Sheikh Amer Al-shammakhi Through his book clarification," *Al Jinan الجنان*: Vol. 13 , Article 10.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol13/iss1/10

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al Jinan الجنان by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

عائشة بنت مبروك بن حمود القنوبية
مدرسة مساعدة بكلية العلوم الشرعية
مسقط-سلطنة عمان

Aisha Mabrouk bin Hamoud Al Qanoubiya
Teaching Assistant, College of Forensic Sciences
Muscat - Sultanate of Oman

تزكية النفس عند الشيخ عامر الشماخي (ت: ٧٩٢هـ) من خلال كتابه الإيضاح

Self-purification according to Sheikh Amer Al-Shammakhi (T .: 792 A.H.) Through his book clarification

DOI: 10.33986/0522-000-013-013

مقدمة

الحمد لله الذي أنار النفوس بطاعته، وعلق الفلاح بتزكيتها في محكم كتابه، فقال: "قد أفلح من زكاها"(١) كما ذم من أعرض عن ذلك فقال: "وقد خاب من دساها"(٢)، والصلاة والسلام على من أرسله الله معلما ومزكيا للنفوس، وجاء مبشرا ونذيرا إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن مما ينبغي تحقيقه والتنبه له والسعي لأجل تحقيقه صلاحَ النفوس والسعي لتزكيتها، وهذا لا يتم إلا بالإيمان والعمل الصالح، ووصف النفس بالتقصير في جنب الله والابتعاد بها عن كل ما يسوءها من أدران الشرك والمعاصي، والارتقاء بها في مدارج الكمال الإيماني، فهو عنوان الفلاح ومفتاح النصر والسبيل نحو العزة، ولا يستطيع المرء لتحقيق ذلك إلا بالتضحية ومجاهدة النفس، ونظرا لما تعتري النفس البشرية من تقلبات فهي بحاجة دائما إلى التزكية والتطهير لحمايتها من السقوط والانزلاق في المراتب السفلى.

وهذا مما اعتنى به النبي ﷺ، فكان يدعو ربه بأن يزكي نفسه ويقول: "اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها"(٣)، ومن هنا اعتنى الشيخ عامر الشماخي بتزكية النفس والعناية بها خلال كتابه الفقهي (الإيضاح)، ليدلل على أن العلم أحد الأركان التي تقوم عليها التزكية، ولا ينبغي أن ينفك التعلم عن التزكية.

وفي هذه الورقة البحثية نحاول أن نبرز جانب التزكية عند الشماخي فكانت بعنوان: "تزكية النفس عند الشيخ عامر الشماخي (ت:٥٧٩٢) من خلال كتابه الإيضاح".

هذا وقد قسمت الورقة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة كالآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الورقة البحثية والخطة والمنهج المتبع فيها.

المبحث الأول، وفيه التعريف بالشماخي وكتابه الإيضاح.

المبحث الثاني، تناولت فيه عناية الشماخي بترويض النفس على الطاعة والاستعداد للدار الآخرة.

المبحث الثالث، وفيه الدعوة إلى الالتزام بالدين ومكارم الأخلاق.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد اتبعت في هذه الورقة المنهج التحليلي، حيث أقوم بعرض نصوص الشماخي، مبينة ما تدل عليه من عنايته بتزكية النفس مع أن الكتاب غير مصنف في هذا المجال، لأثبت أن العلم لا يراد منه ذاته وإنما يراد به تزكية النفوس وترويضها على طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته، وبهذا تكون الورقة قد مزجت بين الجانب الفقهي والجانب الوجداني.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يعينني على إتمامها، وأن يجعلها خالصة لوجهه عز وجل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

١- الشمس آية ٩.

٢- الشمس آية ١٠.

٣- رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم ٧٣ (٢٧٢٢) من طريق زيد بن أرقم.

المبحث الأول: التعريف بالشماخي وكتابه الإيضاح

المطلب الأول: التعريف بالشيخ عامر الشماخي:

الشيخ عامر بن علي بن عامر الشماخي، والشماخي نسبة إلى جبل شمَّاخ الواقع في أرض نفوسة بليبيا، وهو جبل مرتفع به آثار تدل على ما كان فيه من عظيم العمران، وهو قبلة عرب أولاد ريان المالكية، وفيه غروسهم، وهو على مسافة أربع ساعات تقريبا من يفرن غربا، وديارهم مشهورة بالبركة والعلم، ثم انتقلت إلى الاستقرار في يفرن([٤]) بليبيا([٥])، وتعتبر هذه المنطقة من أجمل مناطق الجبل وأخصبها أرضا وأجودها تربة وألطفها هواء وأعذبها ماء([٦]).

كان رحمه الله سليل عائلة من أعرق العائلات في العلم والمعرفة في جبل نفوسة إذ كان أبوه مشهورا بصلاحه وتقواه([٧]). فكان لهذه الأسرة الكريمة دور بارز في صقل شخصيّة الطّفل عامر لينشأ نشأة زاكية على القيم والمبادئ الإسلاميّة، فقد أظهر رحمه الله نبوغا منذ صغره، قال عنه علي يحيى معّمر: "نشأ طفلا يطلّ الذّكاء من عينيه، وتظهر النّجابة على مخائله، ويرى الصّلاح على مسلكه([٨]) يروى بأنه كان يرعى بقر أبيه فمر عليه بعض الأعراب فوجده ماسكا رسن بقرته فقال له: لم أمسكتها دون الأطفال؟ قال: خشية أن تغشى زرع الناس، وهذا حرام في دين الله، فأعجب الأعرابي من خلق وذكاء هذا الطفل، فذهب لأبيه وقال له: إن ابنك يصلح للعلم والقراءة لا لرعي البقر، فكانت هذه الحادثة سببا في تغير حياة الطفل وتوجهه لطلب العلم؛ إذ أرسله أبوه في اليوم التالي إلى مدرسة البِخَابخة([٩]) للدراسة بدلا من رعي البقر([١٠]) ولم تمض شهور قليلة حتى حفظ القرآن الكريم وكثيرا من السنة النبوية المطهرة ومبادئ اللغة العربية والنحو والصرف وهو لا يزال صغيرا([١١]).

٤- يفرن: اسم يطلق الآن على مجموعة من القرى المتجاورة وهي تقربست ومنها ديسير ويقال لها الشقارنة تقع إلى الشمال الغربي كان لها تاريخ وبها الحصن العظيم يعتبر من أعظم حصون الجبل فيه نحو ألف وثمانمائة غرفة بعضها فوق بعض فخربته الدولة العثمانية عند احتلالها للجبل كما خربته غيره من القصور والقصير وتاغمة وقصبة مانة وتازمرايت وقصبة بن مادي والمعانين زالقراديين والمشوشين والبخابخة. (انظر: معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري- سلطنة عمان، ط٢، ١٩٩٣م، ج١ ص١١٣ (الحلقة الثانية، القسم الثاني) والباروني، عبدالله بن يحيى (ت:١٣٣٢ه)، سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان، (١٤١٢ه-١٩٩٢م)، ص٥٥.

٥- الباروني، سلم العامة والمبتدئين، (مرجع سابق) ص٥٢- ٥٣(هامش)، وأعوشت، بكير، نفحات من السير، ١٤١٤ه-١٩٩٤م، ج١ ص٧٧.

٦- معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٣(الحلقة الثانية، القسم الثاني).

٧- أعوشت، بكير، نفحات من السّير، (مرجع سابق) ج٢ ص٧٨ .

٨- أعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٧٨ ومعمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤(الحلقة الثانية، القسم الثاني).

٩- البِخَابخة: مدرسة في ديسير بيفرن كانت تقوم برسالة التعليم لقرون طويلة وهي مدرسة ابتدائية تقوم بتدريس المبَادئ الأولى للعلوم. (انظر: أعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٧٨، ومعمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤(الحلقة الثانية، القسم الثاني).

١٠- معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤ (الحلقة الثانية، القسم الثاني).

١١- أعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٧٨-٧٩.

ثم التحق بمدرسة([12]) الشيخ أبي موسى عيسى بن عيسى الطَّرميسي([13])، وكانت أعظم مدرسة في جبل نفوسة تخرج فيها علماء فطاحل، فدرس فيها حتى بلغ أعلى الدرجات عنده وكان أنبغ طلبته وأحبهم إليه([14]).

وعندما كبرت سن الشيخ الطرميسي وأحس بدنو أجله وضعف قوته ونشاطه، أوكل إلى الشيخ عامر دون بقية طلبته النجباء بحمل أمانة الدين من بعده لما يتمتع به من أخلاق عالية وآداب سامية، فقال له -كما حكاه البدر الشماخي-: "هذا المذهب أبلغته إليك فإن أحسنت سياسته بقي وإلا افترق"([15]) وفي لفظ آخر ذكره علي يحيى معمر وبكير أعوشت: "لقد أبلغت إليك هذا الدين سالما دون أن تشوبه الخرافة أو البدعة، فإن حافظت عليه بقي، وإن أهملته ضاع"([16]).

فكان عند حسن ظن شيخه به فقضى حياته في طلب العلم ونشره، فبذل جهدا لا يقل عن جهد شيخه وترك من الأثر ما لا يزال إلى يومنا هذا([17]).

اشتغل بالتدريس مدة من الزمن خلفا لشيخه الطرميسي ثم رجع إلى بلده يفرن، فأنشأ بها مدرسة خاصة لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، إذ استقر بها مدة من الزمن قام فيها بنشر العلم والثقافة والوعي الديني والخلقي بين الناس آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وبعد أن رتبها ترك إدارتها إلى من يثق بكفاءتهم، وأوكل مهمة التدريس فيها إلى كبار تلاميذه وزملائه([18]).

١٢- هي مدرسة في قرية طرمسية موصولة بأحد المساجد، وهي قرية صغيرة مرتفعة بجبل نفوسة بين واديين عميقين يفصلها عن الجبل خندق عميق يصل بين الواديين، قام بحفر الخندق عمال أقوياء ليحفظوها من عدوان المعتدين، وقد تخرج فيها عدد غير قليل من أعلام الفكر والدين، ومن أبرزهم الشيخ أبو عامر الشماخي وزميله وصاحبه في طلب العلم أبو طاهر إسماعيل الجيطالي (ت:٧٥٠هـ) وما زالت المدرسة بحالة جيدة طولها ١٤متر وعرضها ٥ أمتار تحيط بها غابات الزيتون من كل ناحية (انظر: معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١٠٤ (الحلقة الثانية، القسم الثاني، وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون (٢-٨ه)، دار الكتب الوطنية، ليبيا- بنغازي، ٢٠٠٨، ص٩٤-٩٥).

١٣- أبو موسى عيسى بن عيسى الطَّرميسي، توفي عام ٧٢٢ه، أحد علماء جبل نفوسة بليبيا، أخذ علمه عن أبي يحيى وجدليش بن فتى، كان فقيها ورعا، أطلق عليه لقب شيخ الإسلام، اشتغل بالعلم والتعليم، وكانت مدرسته من أبرز المدارس التي اهتمت بجانب التأليف ووجهت طلابها لذلك، ترك ثروة علمية قيمة، منها كتابه: السؤالات، وعندما أحس بدنو أجله أوصى بأن تكون مكتبته لطلبة نفوسة وعلمائها. (انظر: البدر الشماخي، أحمد بن سعيد (ت: ٩٢٨ه)، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي سلطنة عمان- وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م، ج٢ ص١٩٨، وبابا عمي، محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م، ج٢ ص٣٣٢.

١٤- أعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٧٨-٧٩، وبابا عمي، معجم أعلام الإباضية، (مرجع سابق) ج٢ ص٢٤٠، ومعمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤ (الحلقة الثانية، القسم الثاني).

١٥- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٨.

١٦- أعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٧٩، ومعمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤ (الحلقة الثانية، القسم الثاني).

١٧- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٩، ومعمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج٢ ص١١٥ـ ١١٦ (الحلقة الثانية، القسم الثاني)..

١٨- معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤ (الحلقة الثانية، القسم الثاني)، وأعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٧٩.

ثم انتقل إلى مدرسة مزغورة[١٩]، ليواصل كفاحه في نشر الدعوة[٢٠]، فقام بتنظيمها وتنظيم أقسامها الداخلية مع صديقه أبي عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيى[٢١]، وعندما انتهى من ترتيبها وتنظيمها وسارت على منهج ثابت أوكلها إلى تلامذته[٢٢].

ثم انتقل سنة٧٤٣ه إلى قرية مَتيُون من قرى الرُّحَيبات بنفوسة، فأسس فيها مدرسة، وبقي فيها ثلاثة عشر عاما يعلم العلوم[٢٣]، حتى تخرج على يده علماء كثر[٢٤].

وبعد أن اطمأن الشيخ على أحوال مدرسته، أحس بالحنين إلى بلده يفرن، التي هي مسقط رأسه ومرتع صباه، فرجع عام ٧٥٦هـ، فأنشأ فيها مدرسة بقرية المعانيين[٢٥][٢٦]، واستقر في مسجده الكبير مجاهدا مكافحا، فاستطاع أن ينشئ جيلا يرفع راية العلم[٢٧]، إلى أن وافته المنية سنة٧٩٢[٢٨].

١٩- مزغورة: نسبة إلى الشيخ أبي زيد المزغورتي من علماء القرن الثالث الهجري وهي عبارة عن بناء تحت الأرض بني فوقها حديثا مسجدا سمي على اسم الشيخ أبي زيد طولها تقريبا ١٠ أمتار وعرضها تقريبا ٦ أمتار وتتكون من حجرتين قصدها الطلاب من مختلف أماكن الجبل. (انظر: معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤)، الحلقة الثانية، القسم الثاني، وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص٩٥.

٢٠- معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٤ (الحلقة الثانية، القسم الثاني) وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص٩٦، ١٨٢.

٢١- أبو عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيى (ت: ٧٤٦هـ ـ ١٣٤٥) من علماء جبل نفوسة بليبيا، من أسرة آل بارون، تعلم بمدرسة أبي عيسى الطرميسي قام بالتدريس في عدد من المدارس في جبل نفوسة وأشرف على مدرسة أستاذه أبي عيسى له مؤلفات عدة في التراجم والفقه الإباضي. من مؤلفاته «لقط أبي عزيز». (انظر: بابا عمي، معجم أعلام الإباضية، (مرجع سابق) ج٢ ص٢٣).

٢٢- كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص١٨٢.

٢٣- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٨، الجعبيري، فرحات بن علي، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة الاستقامة، بدون مكان النشر، ط٢ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص١٢٣، وأعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٨٠ والحاج سعيد، يوسف بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية غرداية ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، ص١٢٢ ومعمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٥ (الحلقة الثانية، القسم الثاني) وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص٩٦، ١٨٢.

٢٤- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٨ وأعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٨١، وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص٩٦.

٢٥-المعانيين: قرية من قرى مدينة يفرن تقع فوق ربوة عالية وتتوسط باقي القرى إذ تحدها من الشرق قرية البخابخة ومن الغرب قرية الشقارنة ويفصل بينهما وادي يدعى بوادي عيسى تنتشر فيه أشجار الزيتون والتين ويوجد به بئر ماء تشرب منه القرية قديما ومن الشمال قرية قصبة مادي والقصير ومن الجنوب قريتي القراديين والمشوشيين، ومن معالمها مسجد ومدرسة الشيخ عامر وفي إطار توسيع المسجد هدم الأهالي جزءا مهما من المدرسة وهي الخلاوي التي كان يدرس فيها الطلبة كما أزيلت مقبرة الطلبة الغرباء وقد جددت المدرسة في الوقت الحالي في صورة منارة عامر الشماخي لتحفيظ القرآن الكريم. (انظر: كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص٩٦).

٢٦- الجعبيري، فرحات بن علي، البعد الحضاري، (مرجع سابق) ص١٢٣ وأعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٨٠ والحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، (مرجع سابق) ص١٢٢ وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص٩٦، ١٨٢.

٢٧- هو مسجد كبير منسوب إليه بني في أول المائة الثانية للهجرة ولا يزال تقام فيه الجمعة لقرى بني يفرن (انظر: الباروني، سلم العامة والمبتدئين، (مرجع سابق) ص٥٣ وأعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٨٠.

٢٨- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٨-١٩٩ وبابا عمي، معجم أعلام الإباضية، (مرجع سابق) ج٢ ص٢٤٠ وأعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٨٠ وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص٩٦.

قد شهد له مجموعة من العلماء بزهده وورعه ورسوخه في العلم، ومن جملة ما قيل عنه:

١. قال زميله وصاحبه أبو طاهر إسماعيل الجيطالي([٢٩]): "عامر وحيد عصره"، وسبب هذه المقولة أن الجيطالي دخل عند العشاء الآخره إلى مسجد بلده جيطال، وكان الشيخ عامر ينظر في كتاب، فقعد إليه يسأله عن المشكلات والمبهمات إلى أن انفجر الصبح، ولم يقف في واحدة([٣٠]).

٢. قال عمر بن رمضان التلاتي: "لما فرغت من اختصار أصول تبغورين حاولت نفسي في شرح الديانات لأثير الدين الشيخ عامر الهمام، لا زالت هاطلة عليه سحب رحمات الملك العلام، تبركا بآثاره اللامعة، وخدمة سدة كراماته الساطعة، فوجدتها راغبة فيه كمال الرغبة، وطالبة من الله صفاء الوقت والفطنة، والهداية إلى الصواب فيه، والإعانة على إكماله وتحرير معانيه"([٣١]).

٣. قال البدر أحمد بن سعيد الشماخي: "ومنهم أبو ساكن عامر بن علي بن عامر بن يسفاو الشماخي، واسطة العقد ومنتهى القصد، أخذ العلم من أبي موسى عيسى بن عيسى، وصاحب الشيخ أبا عزيز، وكان يؤثره على غيره من الأشياخ...، جدد منه (أي المذهب الإباضي) ما خلق وأحيا ما مات، وكل وهبي في المغرب إنما يرجع ما معهم من العلم إليه، أعني علم المذهب، فهو واسطة بين من بعده ومن قبله، وكان مع أبي طاهر ﴿ يقصد الشيخ إسماعيل الجيطالي﴾كفرسي رهان يتسابقان في ميدان،... وإذا أطلق الشيخ في عرف زماننا ﴿ أي في القرن التاسع والعاشر﴾ فهو المعني...، وما يذكر عن اجتهاده في الاقراء والعبادة والحزم والتزام الطريقة واحياء السير أمر كبير...، ويوصف بالحلم والوقار وعدم الحدة"([٣٢]).

٤. قال الشيخ علي يحيى معمر: "كان أبو ساكن مثلا يحتذى به في الجد والعمل والخلق الحميد، إنه من أولئك الدعاة الهداة الذين يقيم بهم الحجة على العباد في مختلف الأزمان"([٣٣]).

٥. قال أبو إسحاق أطفيش بعد أن تكلم عن كتابي الإيضاح للشماخي وقواعد الإسلام للجيطالي: "وكل من المؤلفين في الدرجة القصوى من العلم والتحقيق والتدقيق والإجادة([٣٤]).

٢٩- أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: ٧٥٠هـ - ١٣٤٩م) ولد بجبل نفوسه ونشأ بمدينة جيطال أخذ العلماء عن أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي، كان هو والشيخ عامر كفرسي رهان في الذكاء اشتهر بحافظته القوية جمع بين العلم والجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اشتغل بالتدريس والتأليف، من مؤلفاته قناطر الخيرات وقواعد الإسلام والحج والمناسك وغيرها، (انظر: الجعبيري، البعد الحضاري، (مرجع سابق) ص١٢٣ وبابا عمي، معجم أعلام الإباضية، (مرجع سابق) ج٢ ص٥٧- ٥٨).

٣٠- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٨.

٣١- التلاتي، عمر بن رمضان (ت: ١١٨٧هـ)، شرح متن الديانات، (المطبوع مع كتاب العقيدة المباركة للشيخ داود الثلاثي، مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة)، ص٤٦.

٣٢- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٨-٢٠٠.

٣٣- معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) ج١ ص١١٨ (الحلقة الثانية، القسم الثاني) وأعوشت، نفحات من السير، (مرجع سابق) ج١ ص٨٠.

٣٤- أبو إسحاق اطفيش، إبراهيم (ت:١٣٨٥ه)، مقدمة كتاب الوضع، تحقيق: أحمد بن صالح الشيخ وبكير بن محمد فخار، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان – السيب، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥، ص٣٥.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الإيضاح:

كتاب الإيضاح في الفقه، ويطلق عليه اسم الديوان([٣٥])، بين فيه أقوال العلماء ومذاهبهم، كما وضح فيه آراءهم وما يستندون عليه، مرجحا ما يراه صوابا بالحجّة والدّليل، ويعتبر كتاب الإيضاح من أمّهات الكتب في المذهب الإباضيّ المغربي، وذلك لأهمّيته وغزارة محتواه. ومما يزيد من قيمة الكتاب، ورفعة منزلته كثرة المصادر التي اعتمد عليها الشيخ في كتابه وتنوّع المراجع التي رجع إليها، كذلك اعتماد علماء المذهب في كتبهم ومؤلّفاتهم عليه، فجعلوه مصدرا أساسيّا واستفادوا منه كل الاستفادة مشرقا ومغربا. وممن اعتمد عليه من علماء المذهب.

ومن هنا اشتمل الكتاب على الأبواب الآتية في أجزائه الأربعة:

- الجزء الأول: اشتمل هذا الجزء على أبواب الطهارات والصلاة، وختم الجزء الأول بأحكام الجنائز.
- الجزء الثاني: اشتمل هذا الجزء على أبواب العبادات المتبقية، الزكاة والصوم والحج والأيمان والكفارات وأحكام الذبائح وختم الجزء الثاني بالحقوق.
- الجزء الثالث: شرع الشماخي في هذا الجزء بالحديث عن أبواب المعاملات فتحدث عن البيوع المنهي عنها والأسباب المصححة للبيع.
- الجزء الرابع: استكمل الشماخي فيه أبواب المعاملات فتحدث عن أحكام الشركات والشفعة، والهبة وختم الجزء بالحديث عن أحكام الوصايا.

وهذا ما اقتصر عليه الشماخي في أجزائه الأربعة، ولم يتعرض لأحكام الأسرة وغيرها من أبواب الفقه.

المبحث الثاني: ترويض النفس على الطاعة والاستعداد للدار الآخرة:

المطلب الأول: الإكثار من ذكر الله وألوان الطاعات:

يحرص الشماخي على إذكاء روح العبودية لله عز وجل في نفوس المتعلمين، وربطهم بذكر الله عز وجل، والاشتغال بألوان القربات، مستغلين أوقاتهم بما يقربهم إلى الله تعالى، ومن الدلائل على ذلك ما ذكره في حق المجلس: « وإذا كان القوم في موضع فليجتمعوا لأمر دنياهم وآخرتهم، وليكن أكثر اجتماعهم على ذكر الله في الليل والنهار، ومن سيرة المسلمين يجتمعون بعد صلاة العشاء عند أفضلهم في الإسلام، ويجعلون بينهم مجلسا يذكرون الله تعالى حتى يختموا بالقرآن ثم يدعون الله...، وفي الحديث: « يأتي على الناس زمان يجلسون فيه في المجلس حلقا ليس لهم

٣٥- البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج٢ ص١٩٩ وكوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (مرجع سابق) ص١٨٢.

ذكر إلا في الدنيا والتناظر في أمورها فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة »[٣٦]، وروي عن النبي ﷺ قال: « اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا ولا تضحكوا في المجلس فإن الضحك يميت القلب وليس من أخلاق الصالحين »[٣٧]»[٣٨].

وقال في معرض الحديث عن الزيارة بين الإخوان: "وفي الأثر ذكر عن الشيخ أبي مسور[٣٩] رحمه الله عمن حدث عنه أنه قال: التزاور بين قوم أظنه قال: إذا كان التزاور بين قوم فقد تم لهم العزم والاجتهاد فيما بينهم وبين خالقهم فنعوذ بالله من الكسل ومن الترك لطاعته"[٤٠].

وقال حاضا على رفع الأذان ورفع الصوت به: « وليجتهد المؤذن في وقت أذانه وليسمع بأذانه وليمد صوته ابتغاء وجه الله ورجاء لما عنده؛ لأنه قيل: يشهد له يوم القيامة جميع من بلغه صوته لما روي أن النبي عليه السلام قال لرجل: «إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك وأذنت بالصلاة فارفع صوتك فإنه لا يسمع صوت المؤذن إنس ولا جان ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»[٤١]»[٤٢].

وقال في معرض الحديث عن الإنفاق: « وقيل: إنك لن تدخل في عمل من أعمال الله إلا أعانك بسبعمائة عون ولم تخط خطوة إلا بسبعمائة خطوة، وقد أمر الله بالنفقة في سبيل الله ورغب فيها فقال عز وجل: « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء »[٤٣]، وقال أيضا: « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٤٤]»[٤٥].

٣٦- رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الرقاق، برقم ٧٩١٦ من طريق أنس بن مالك بلفظ: «يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم وليس همتهم إلا في الدنيا ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم»، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

٣٧- رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، برقم٥٠٦٠. ومسلم في كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن برقم٤(٢٦٦٧) بلفظ: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا». من طريق جندب بن عبدالله.

٣٨- الشماخي، عامر بن علي (ت: ٧٩٢ه)، الإيضاح، دار الفتح، ١٣٩٤ه- ١٩٧٤م، ج٢ ص٥٩٢-٥٩٣.

٣٩- أبو مسور يصلتين الأدوناطي من قرية (أدوناط) (ق: ٥ه) عاصر الإمام عبد الوهاب وعمر طويلا حتى أدرك ضعف حكم الرستميين وانهيار دولتهم، له أقوال مأثورة، قال عنه علي معمر: «قال عنه الربيع عظيم القدر في الإسلام علما وعملا وورعا وكان الإمام في تاهرت يعتبره من المراجع العلمية الحية». وقال عنه البدر الشماخي في سيره: «قال أبو العباس: أحد الشيوخ المجتهدين في أفعال البر المخلصين في العلانية والسر وعمر حتى بلغ الغاية في السن والهرم وكان في زمن الامام عبد الوهاب وعاش بعده» (انظر: بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، (مرجع سابق) ج٢ ص٤٧٠، البدر الشماخي، كتاب السير، (مرجع سابق) ج١ ص١٩٦، ومعمر، الإباضية في موكب التاريخ، (مرجع سابق) المجلد الأول، (الحلقة الثانية، القسم الثاني) ص٢٤٣. إلا أنه رد في معجم أعلام الإباضية باسم «يصليتن»

٤٠- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ ص٥٩٠.

٤١- رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الجن وثوابهم وعقابهم برقم٣٢٩٦، من طريق أبي سعيد الخدري.

٤٢- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج١ ص٣٩٨-٣٩٩.

٤٣- البقرة آية ٢٦١.

٤٤- البقرة آية ٢٧٤.

٤٥- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ ص٥١٩.

المطلب الثاني: الزهد في الدنيا:

كان للتحذير من الركون إلى الدنيا نصيب في كلام الشماخي، فلا يركن المرء إليها مشتغلا بها عما هو بحاجة إليه، فمن ذلك قوله: « ولا يشغل قلبه بأمور الدنيا فإنه لا يدرك منها إلا ما قدَّر له»(٤٦).

المطلب الثالث: الحث على طلب العلم لأجل تزكية النفس

بين الشماخي في مقدمة كتابه أن مما دعاه لتأليف الكتاب أن يكون عونا للمتعلمين، لذا نجده حينما يدخل في الأبواب الفقهية يأتي بها على أن المكلف يفعل كذا وكذا، فنجده مثلا يقول في باب قضاء الحاجة -وهو أول باب في الكتاب-: « وإذا أراد أن يتهيأ لصلاته عندما ينتبه من نومه فليخرج قاصدا لحاجته وليباعد من الناس»(٤٧).

ويوصي بطلب العلم ويبين أنه هو السبيل لأداء العبادات على وجهها الصحيح وأن طلبه عظيم الشأن، وفي ذلك يقول: «وقال عليه السلام: «إذا حضرت الجنازة وحضر مجلس العلم فإذا كان في الجنازة من يتبعها ويدفنها، فإن حضور مجلس العلم أفضل من ألف جنازة، وعيادة ألف مريض، ومن قيام الليل، وصيام ألف يوم، وصدقة ألف درهم، وألف حجة سوى حجة الفريضة، وألف غزوة سوى الغزوة الواجبة تغزوها في سبيل الله بمالك ونفسك، وأنفع هذه المشاهد من شهد مجلس العلم، أما علمت بأن يطاع بالعلم، ويعبد بالعلم، وخير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل»، فقال رجل: فقراءة القرآن يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: «ويحك وما قراءة القرآن بغير علم، وما الحج بغير بعلم، وما الجهاد بغير علم، أما بلغك أن السنة تقضي على القرآن، والقرآن لا يقضي على السنة»(٤٨)، ومن حق العالم على أهل المنزل أن يعينوه ومن يتعلم عنده بأموالهم وأنفسهم، ويقيموا بحوائجهم ومن حقهم على العالم أن يقرئهم ويعلمهم وينصحهم ويصبر لهم ولا يكتم ما عنده من العلم، وقد أنفذ الله الوعيد فيمن يكتم ما عنده من العلم، قال سبحانه: «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون»(٤٩)»(٥٠).

المطلب الرابع: التنفير من المعصية والعصاة

نرى الشماخي ينفر من المعصية والعصاة، ومن شدة تنفيره منهم أنه لا يرى العصاة أهلا لأن يصافحوا، وأن معصيتهم لله عز وجل تزعزع كرامتهم، وتقضي على حقهم، فها هو يقول: «وتجوز مصافحة جميع أهل التوحيد الذكور منهم والإناث، الحر والعبد، الصغير والكبير، إلا أهل الفتنة

٤٦- المرجع السابق، ج٢ ص٥٩٦.
٤٧- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج١ ص٦.
٤٨- لم أجد له تخريجا.
٤٩- البقرة آية ١٥٩.
٥٠- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ ص٥٩٧-٥٩٨.

ومن هجره المسلمون، والطاعن في دين المسلمين، ومانع الحق، والمرأة العاصية لزوجها، والعبد الآبق وجميع المشركين فإن هؤلاء كلهم لا مصافحة لهم ولا كرامة»([٥١]). وقال في موضع آخر: «ويجب حق ابن السبيل كائنا ما كان من الناس، إلا من يسعى في معصية الله مثل قطاع الطريق وأهل الفتنة ومن هجره المسلمون والمرأة العاصية لزوجها والعبد الآبق وأشباههم فلا يجب حق هؤلاء ولا يطعمون ولا يسقون»([٥٢]).

ويقول في موضع آخر عند ذكر حق التعزية للمسلم فيقول: «ويعزى المسلم في جميع من مات له، ولو مات بأي وجه من الوجوه، ولا يعزى أهل الفتنة والبغاة وقطاع الطرق بعضهم على بعض، ويعزى قريبا مسلما كان أو غير مسلم»([٥٣]).

وقال عند ذكره لحقوق الوالدين مبينا أن حقوقهم تقف عندما يأمرون بالمعصية: «ألا إن أمره بمعصية الله فلا طاعة للمخلوق في معصية الخالق كما قال عز وجل للقمان: «وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما»([٥٤])»([٥٥]).

ويعتبر مخالطة أهل المعصية ذا أثر سيء على المرء، فيأمر بالابتعاد عنهم وهجرهم، ولو كانوا جيرانا فيقول: «وإذا كان جار سوء في هجره صلاح لجاره دينا ودنيا فجائز هجره بغير نية لترك الفرض، ولا يريد إيذاء جاره فيكفر، وفي الأثر: ومن كان له جار سوء يؤذيه فإن كان منافقا جاز أن يدعو عليه بالفقر والموت ولا يجوز أن يدعو على المؤمن»([٥٦]).

المطلب الخامس: الابتعاد عن الشبهات:

نلحظ أن الشيخ عامر الشماخي يحض على الابتعاد عن كل ما يمكن أن يوقع المرء في الحرام، ولو كان في أصله مباحا، احترازا من الوقوع في المعصية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما ذكره في حكم تقبيل الأطفال من غير الأولاد فقال: «وأما غير ولده فليقبله في الرأس إن ذكرا وإن كان أنثى فلا يباشرها، ولكن يجعل يده على رأسها ويقبله لما يخاف مما يقع في قلبه من الشهوة، وإن لم يكن في قلبه شيء فلا بأس أن يقبلها على الرأس، وإنما يعني بهذا في الأطفال...، وفي الأثر: ومصافحة ذوات المحارم منه بالنسب، وبالرضاع منه، وبالصهر بالمعانقة، وينبغي له أن يحسن مصافحتهن إن لم يخف على نفسه مما يقع في قلبه»([٥٧]).

٥١- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ ص٥٨٦.
٥٢- المرجع السابق، ج٢ص٥٤٥.
٥٣- المرجع السابق، ج١ ص٧٧٢.
٥٤- لقمان آية ١٥.
٥٥- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ص٤٨٧.
٥٦- المرجع السابق، ج١ ص٥٣٣.
٥٧- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ص٥٨٧-٥٨٨.

ويقول أيضا: «وجائز السلام بين الرجال والنساء في المنزل وفي الفحص، إلا ما يكرهونه من سلام الرجل على المرأة في الفحص لما يخاف من الريبة وشغل القلب»(٥٨).

المطلب السادس: الأخذ بالأحوط من أقوال أهل العلم:

إن المتأمل لكتاب الإيضاح للشماخي يجد مبدأ الأخذ بالاحتياط، والخروج من خلاف أهل العلم كثيرا في مباحث الكتاب، وما ذلك إلا لأن الأخذ بالقول الأحوط فيه سلامة للمرء من الإثم باتفاق الكل، وخروج من عهدة التكليف من غير شك، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله في حكم الصلاة بثوب فيه تصاوير: «وكذلك لا يصلي بثوب فيه تصاوير...، وقال بعضهم: إن صلى بالثوب الذي فيه التصاوير جازت صلاته...، والقول الأول أصح لأنه أحوط من الإثم، كما قال أبو طلحة»(٥٩).

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند الحديث عن زكاة الثمر فيما إذا سقي بالزجر وبالغيث فقال: «وما سقي من هذه الحبوب والثمار بالزجر وسقاه بالغيث، فقد اختلف أهل الفقه في زكاته فقال بعضهم: صدقة تلك الثمرة على ما أسست عليه، وقال بعضهم: على ما أدركت عليه...، وقال بعضهم: بل صدقتها بالمقاسمة، فلينظر كم شربت من شربة، ثم ينظر ما كان ذلك بالزجر، وما كان بغير الزجر من سقي الغيث والأنهار، فيعلم أنه نصف أو ثلث أو ربع أو أقل من ذلك أو أكثر فتؤخذ الزكاة على قدر ذلك من الجزء الذي شرب بالغيث العشر ومن الجزء الذي شرب بالزجر نصف العشر وهذا القول أحسن عندي لما فيه من الاحتياط»(٦٠).

وكذا قوله في تأخير الوضوء في الغسل: «وإنما يبدأ المغتسل بعد نزع النجس من بدنه بالوضوء لحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم، وإن أخر الوضوء بعد الغسل لما يخاف أن يلاقي يده عورته في الغسل كان أحوط، والله أعلم»(٦١).

المطلب السابع: التذكير بالموت:

يستغل الشيخ عامر الشماخي في ثنايا حديثه عن المسائل الفقهية الفرصة للتذكير بالموت، ويكون ذلك دافعا للمكلف للاستجابة للحكم الشرعي مستحضرا لقاء الله عز وجل، فمن ذلك ما ذكره في مسألة تنزه المرء عن النجاسات فقال: "ولا ينام الرجل مع نجاسة كانت في ثوبه أو في فراشه أو في موضع رقاده أو في بدنه ما قدر لئلا يجده الموت على غير طهارة"(٦٢).

٥٨- المرجع السابق، ج٢ ص٦٠٨.
٥٩- المرجع السابق، ج١ ص٤١٨-٤١٩.
٦٠- المرجع السابق، ج٢ ص٢١-٢٢.
٦١- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج١ ص١٥٨.
٦٢- المرجع السابق، ج١ ص٣١٥.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الالتزام بالدين ومكارم الأخلاق

المطلب الأول: التواضع لله عز وجل:

من يتأمل كتاب الإيضاح يجد التواضع الجم لدى الشماخي، وهو في حد ذاته تربية للمتعلمين، وهضم للنفس حتى لا تغتر بما حباها الله، وما أجمل التواضع حينما يصدر من العلماء الكبار، إذ يقول في مقدمة كتابه: «وهذا على غير دراية مني في العلم، ولا بلوغ نهاية في الفهم، ولا ادعاء فضل على الأئمة المتقدمة، ولا استنارة بغير ضيائهم رحمهم الله أجمعين، وبعد جعلت الله على كل مسلم قرأ هذا الكتاب أن يستعمل فيه عين البصيرة السليمة من جميع الشوائب مخلصا للملك الوهاب، ولا يأخذ فيه إلا بما وافق الحق والصواب، على أني جمعته في أيام دهش وهراش وبلوى على أني قاصر عن بلوغ الدرجة القصوى»([٦٣]).

المطلب الثاني: الأمانة:

نجد الشيخ الشماخي يشدد على الأمانة وحفظ أموال الغير وعدم استخدامها بغير وجه حق، سواء أكانت أموالا عامة أم أموالا خاصة، ومن أمثلة ذلك قوله في أموال المسجد: «ومن جعل مالا لمصباح المسجد أو جمعوا له المال، فإنهم يجعلون ذلك في يد أمين يحفظه ويقوم به ويقعد فيه في وقت يصلح لذلك»([٦٤])، ويقول في موضع آخر: «وحقوق المسجد على أهله أن يتخذوا مؤذنا أمينا ورعا حافظا لأوقات الصلاة»([٦٥]).

وقال في شأن اليتامى: «وإذا مات الرجل وترك يتامى ولم يستخلف لهم فعلى عشيرتهم أن يستخلفوا لهم خليفة أمينا يقوم بهم وبأموالهم»([٦٦]).

المطلب الثالث: مراعاة حقوق الآخرين

إن من أعظم ما يدلل على عناية الشماخي بحفظ الحقوق، أن أفرد للحقوق كتابا مستقلا ضمن مباحث كتاب الإيضاح، وفصل فيه القول في بيان حقوق الوالدين والأولاد وذوي القربى واليتامى والجيران، والصاحب بالجنب وابن السبيل، وحق المسلم على المسلم، والضيف والعبيد، والسادة والمساجد، وختمه بالحديث عن المصافحة والزيارة وحق المجلس وحق الجمعة والسلام والاستئذان.

ونجده يحرص على بيان هذه الحقوق، والمبالغة في رعايتها أداء للواجب، ووقوفا عند حدود الله عز وجل، فيقول مثلا في حق العبد: «وحق العبد على سيده أن يشبع بطنه ويكسو جثته، ولا يستعمله إلا بما يقدر عليه، ولا يكلفه فوق الطاقة ويحفظه؛ فإنه أمانة في يده، ونعمة من الله، كف بها عناء

٦٣- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج١ ص٤-٥.
٦٤- المرجع السابق، ج٢ ص٥٧١.
٦٥- المرجع السابق، ج٢ص٥٧٤.
٦٦- المرجع السابق، ج٢ص٥٠٤.

عناه وجعله وقاية، ولا يحمله على ما لا يحل له، وروي أنه قال عليه السلام في المماليك: «أشبعوا بطونهم، وأدفوا ظهورهم، ولينوا لهم في القول، ولا تسمعوهم ما لا يطيقون»([٦٧])»([٦٨]).

ويقول في حق المسلم على المسلم: «ويعزى المسلم في جميع من مات له...، ويعزى المسلم ولو مضى عليه زمان كثير، وتعزية المسلم أن يدعو له بالصبر، وحسن العزاء، والخلف والثواب في الآخرة، وغير المسلم يدعو له بالخلف في الدنيا، وغير ذلك مما يمكنه لأمر دنياه»([٦٩]).

وقال في حق الضيف: «ومن حقوق الضيف على أهل البيت، أن يقدموا له خير ما في بيتهم، ويسرعوا له بعيشه، ويحفظوا له أوقات الصلاة، ويحفظوا له دابته بالعلف والسقي ولا يغيبوا عن وجهه؛ لأن هذا كله من إكرامه والله أعلم»([٧٠]).

وقال عند حديثه عما يراعيه الزائر عند دخوله بيت مزوره: «أما صفة الإذن فإنه ينتهي ذلك إلى تقييد من له الإذن، مثال ذلك: إن أذن له في الدخول إلى الدار، فلا يدخل إلى البيت ولا يطلع إلى الغرفة، ولا إلى سقف البيت إلا بإذن، وأما إن أذن له في الدخول إلى الخزانة في البيت فإنه يدخل في الدار، ثم البيت، ثم في الخزانة؛ لأنه لا يصل إلى الخزانة إلا هكذا، وكذلك ما كان على هذا المعنى مما لم نذكره والله أعلم»([٧١]).

وقال في حق الصاحب: « وكذلك الصاحب في طلب العلم من حقوقه أن ينصحه في أمر دنياه وآخرته، ويفهمه مالم يفهم مما لم يكن عنده من الأدب والعلم والسيرة، فإن رأى له زلة فليزجره عنها، ويسترها عليه، ويذكره إذا غفل، ويرغبه أن يجتهد فيم يطلب، ولا يفعل ما يمرض به قلبه من التناجي عنه، وصحبة من لا يريد صحبته»([٧٢]). ونجده يحرص على مبدأ ستر الآخرين، فيقول مثلا في شأن الميت: «والأولياء أولى بإنزاله في القبر وأشد من ذلك الأنثى، فذوو محارمها أولى بإنزالها، وإن لم يكن منهم إلا واحد فليل عجزها، وإن لم يكن ذلك فليل الأمين من القوم، وهو أولى، وليمسكوا السترة على القبر، ذكرا كان الميت أو أنثى حتى يستروه بالتراب»([٧٣]).

وذكر من جملة نواقض الوضوء الغيبة فقال: «وأما الغيبة التي تنقض الوضوء أن تذكر عيوب المسلمين وزلاتهم، وقد روي عن النبي ﷺ وصى المسلمين بعضهم بعضا وأمرهم بالرعاية في ذلك والستر على بعضهم بعضا، وأن لا يهتكوا إخوانهم عند هفواتهم وزلاتهم»، وقال ﷺ: «من ستر على

٦٧- رواه الطبراني في المعجم الكبير، باب: ما رواه أبو أمامة الباهلي عن كعب بن مالك الأنصاري بلفظ: عهدي بنبيكم ﷺ قبل وفاته لخمس ليال فسمعته يقول فذكر منها: «الله الله فيما ملكت أيمانكم أشبعوا بطونهم، وألبسوا ظهورهم، ولينوا القول لهم».

٦٨- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ص٥٥٣.

٦٩- المرجع السابق، ج١ ص٧٧٢.

٧٠- المرجع السابق، ج٢ص٥٤٦.

٧١- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ ص٦٢٠.

٧٢- المرجع السابق، ج٢ ص٥٤١.

٧٣- المرجع السابق، ج١ ص٧٦٨-٧٦٩.

مؤمن سر الله عليه في الدنيا والآخرة» وقال ﷺ: «لا تتبعوا عورات إخوانكم»([٧٤]).

المطلب الرابع: تغيير المنكر:

يرى الشماخي: جواز مداهمة المحتسب لبيت ثبت وجود المنكر فيه ولو بغير إذن، وفي ذلك يقول: «أما بيت كان فيه الخمر أو غيره من الأنبذة المحرمة، أو مانع الحق أو بيت كان فيه الظلم أو المنكر فجائز لمن أراد أن يغير ذلك أن يدخلها بغير إذن، وهذا إذا عُلموا بذلك أو حققت تهمتهم في ذلك؛ لأن كسر المنكر أوجب من ذلك وألزم، وإن غلقوا الباب دونهم فليكسروه ويدخلوا وإن منعوهم من الدخول فليدخلوها على كره منهم؛ لأنه لا يؤويهم شيء ولا يمنعهم من الحق لقوله عليه السلام: «لعن الله من أحدث في الإسلام حدثا أو آوى محدثا»([٧٥])»([٧٦]).

وقال في موضع آخر: «وأما من تولى عن دفع مال لزمه من دين استدانة برأي صاحبه، فإنه لا يهجم عليه بغير إذن، كما يهجم على الغاضب والسارق وغيرهما من أهل المنكرات بغير إذن»([٧٧]).

المطلب الخامس: التحلي بمكارم الأخلاق:

لم يَفُت الشماخي أن يعتني بتزويد المتعلم مجموعة من مكارم الأخلاق والعفة، حتى عند قضاء حاجته، فيقول: «وينبغي له أن يحفر لحاجته ويسترها؛ لأن النبي عليه السلام أمر بالسترة عند قضاء حاجة الإنسان، ونهى أن يقضي الإنسان حاجته والناس ينظرون إليه، وذلك من مكارم الأخلاق، وكان من فضائل الأنبياء لايرى خلاؤهم وندب المسلمون إلى الاقتداء بهم، قال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»([٧٨])»([٧٩]).

٧٤- المرجع السابق، ج١ ص١٢٦-١٢٧.

٧٥- رواه أبو داود في سننه في كتاب الديات، باب: أيقاد المسلم بالكافر برقم٤٥٣٠، والنسائي في كتاب، القسامة، باب: القوة بين الأحرار والمماليك في النفس برقم٤٧٣٤، من طريق علي بن أبي طالب. قال الألباني: صحيح.

٧٦- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج٢ص٦٣٠-٦٣١.

٧٧- المرجع السابق، ج٢ص٦٣١.

٧٨- الأحزاب آية ٢١.

٧٩- الشماخي، الإيضاح، (مرجع سابق) ج١ ص١٩-٢٠.

الخاتمة والتوصيات

وفي ختام هذه الورقة البحثية أضع بين يدي القارئ الكريم مجموعة من النتائج:

١. نشأ الشيخ عامر الشماخي في بيئة معروفة بالصلاح والعلم مما كان له الأثر الواضح في نشأته العلمية والإصلاحية.

٢. اجتهد الشيخ الشماخي في نشر العلم حيث تنقل بين العديد من المدارس وأنشأ مدارس أخرى إيمانا منه بضرورة العلم ونشره لتحقيق الإصلاح في المجتمع.

٣. اعتنى الشيخ الشماخي في كتابه الإيضاح بتزكية النفس مع كونه كتابا فقهيا إلا أن ذلك لم يمنع من الاعتناء بتزكيتها وفق مراد الله تعالى.

٤. حرص الشيخ الشماخي على ربط المرء بخالقه مكثرا لذكره عز وجل زاهدا في متاع الدنيا راغبا فيما عند الله مبتعدا عن معصيته وأهل المعصية.

٥. لم يقتصر الشماخي على ضرورة إصلاح النفس بل تعدى ذلك إلى ضرورة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو باليد.

التوصيات:

١. العناية بإبراز جانب تزكية النفس من خلال المصنفات الفقهية لينغرس مفهوم التزكية في النفوس، وضرورة المزج بين العلم والعمل.

٢. دراسة الوجود الإباضي في جبل نفوسة عبر الأجيال المتلاحقة للوقوف على الجانب الإصلاحي لا سيما الفترة التي عاشها الشماخي.

المصادر والمراجع

١. أبو إسحاق اطفيش، إبراهيم (ت:١٣٨٥ه)، مقدمة كتاب الوضع، تحقيق: أحمد بن صالح الشيخ وبكير بن محمد فخار، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان – السيب، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥.

٢. أعوشت، بكير، نفحات من السير، ١٤١٤ه-١٩٩٤م.

٣. بابا عمي، محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.

٤. الباروني، عبدالله بن يحيى (ت:١٣٣٢ه)، سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان، (١٤١٢ه-١٩٩٢م).

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله الجعفي (ت:٢٥٦ه)، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ١٤٢٢هـ.

٦. البدر الشماخي، أحمد بن سعيد (ت: ٩٢٨ه)، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي سلطنة عمان- وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م.

٧. التلاتي، عمر بن رمضان (ت: ١١٨٧هـ)، شرح متن الديانات، (المطبوع مع كتاب العقيدة المباركة للشيخ داود الثلاثي، مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة).

٨. الجعبيري، فرحات بن علي، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة الاستقامة، بدون مكان النشر، ط٢ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٩. الحاج سعيد، يوسف بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية غرداية ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٠. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (٤٠٥ه)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١ه-١٩٩٠م.

١١. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٢. الشماخي، عامر بن علي (ت: ٧٩٢ه)، الإيضاح، دار الفتح، ١٣٩٤ه- ١٩٧٤م.

١٣. الطبراني، سليمان بن أحمد بن مطير (ت: ٣٦٠ه)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط٢.

١٤. كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون (٢-٨ه)، دار الكتب الوطنية، ليبيا- بنغازي، ٢٠٠٨.

١٥. مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦. معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري- سلطنة عمان، ط٢، ١٩٩٣م.

٤. الباروني، عبدالله بن يحيى (ت:١٣٣٢ه)، سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان، (١٤١٢ه-١٩٩٢م).

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله الجعفي (ت:٢٥٦ه)، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ١٤٢٢هـ.

٦. البدر الشماخي، أحمد بن سعيد (ت: ٩٢٨ه)، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي سلطنة عمان- وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م.

٧. التلاتي، عمر بن رمضان (ت: ١١٨٧هـ)، شرح متن الديانات، (المطبوع مع كتاب العقيدة المباركة للشيخ داود الثلاثي، مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة).

٨. الجعبيري، فرحات بن علي، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة الاستقامة، بدون مكان النشر، ط٢ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٩. الحاج سعيد، يوسف بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية غرداية ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٠. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (٤٠٥ه)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١ه-١٩٩٠م.

١١. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٢. الشماخي، عامر بن علي (ت: ٧٩٢ه)، الإيضاح، دار الفتح، ١٣٩٤ه- ١٩٧٤م.

١٣. الطبراني، سليمان بن أحمد بن مطير (ت: ٣٦٠ه)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط٢.

١٤. كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون (٢-٨ه)، دار الكتب الوطنية، ليبيا- بنغازي، ٢٠٠٨.

١٥. مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦. معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري- سلطنة عمان، ط٢، ١٩٩٣م.